رمضان كريم

إعداد: ليلى الشافعي

شهر الانتصارات

الفتح الإسلامي للأندلس «1-2»

لم يمض القرن الإسلامي الأول حتى كان فتح عظيم من فتوحات شهر رمضان الكريم، وهو فتح عظيم في التاريخ الإسلامي يكاد يلي في أهميته الفتح الإسلامي لمصر أرض الكنانة بلد الإسلام، إنه فتح الأندلس على يد المقاتل البارع والقائد الفذ طارق بن زياد.

في عهد الدولة الأموية استطاع القائد المسلم موسى بن نصير فتح بلاد المغرب العربي، وبذلك دخل البربر في دين الله وعمل موسى بن نصير على تعليم الناس أمور دينهم وتفقيههم فيه، وعمل على تدعيم الوجود الإسلامي ببلاد المغرب العربي فكان له ذلك بخبرته وحنكته والتزامه بشرع الله، فصار البربر من جند الله المجاهدين.

لكن بقيت إحدى مدن المغرب عصية على الفتح الإسلامي وتسمى سبتة، وحاكمها يسمى يوليان، وكان من حلفاء ملك الأندلس غيطشة، وكان يأتيه المدد عبر البحر من الأندلس، ثم مات غيطشة وخلفه في ملك الأندلس لذريق، وحدث أن اغتصب لذريق هذا ابنة يوليان حيث كان قد أرسلها إلى القصر لتتعلم وتتأدب بأدب الملوك، فأقسم يوليان على أن يزيل ملك لذريق، وحاول محاولات عدة لكنه لم يجد غير التحالف مع المسلمين سبيلا، ورأى موسى بن نصير أن الفرصة سانحة لفتح الأندلس ونشر الإسلام فيها وهي في هذه الحالة من الضعف والفوضى. وبعث موسى بن نصير إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك يستأذنه في فتح هذه البلاد وواصفا له مكانتها من المسلمين، مبينا سهولة دخولها بناء على ما أوضحه له يوليان، فأمره الوليد بن عبدالملك بإرسال سرية صغيرة تختبر تلك البلاد كي لا يقع المسلمين في مأزق في تلك البلاد، فأرس موسى بن نصير أحد قادة جنده ويسمى طريف بن ملوك فعبر إلى الأندلس في خمسمائة جندي وكان ذلك في رمضان سنة إحدى وتسعين للهجرة، ونزلوا في بلدة سميت باسم القائد طريف وشن المسلمون غارات على الساحل غنموا فيها مغانم كثيرة ثم رجعوا إلى موسى بن نصير بما حصلوا عليه في تلك المعارك.

بعدما رأى موسى بن نصير نتيجة السرية التي قام بها طريف بن ملوك أخذ يجهز جيشا كبيرا وندب على رأسه رجلا بربريا شجاعا يسمى طارق بن زياد، وأرسله إلى الأندلس على رأس سبعة آلاف مقاتل مسلم جلهم من البربر الذين حسن إسلامهم والبربر كانوا يتصفون بالقوة والشجاعة والإقدام، وبدأ عبور المسلمين إلى الأندلس ولم يكن لديهم سوى سفن أربع فتم العبور على دفعات واختبأ الذين عبروا أولا حتى عبر الجيش كله وتجمعوا عند جبل سمي بجبل طارق تيمنا باسم القائد الفاتح طارق بن زياد، واستولى المسلمون على الجزيرة الخضراء قبالة جبل طارق فصارت مواصلات الجيش مع أفريقيا حيث المسلمون كلها آمنة.

لما علم ملك القوط لذريق بخبر المسلمين أرسل فرقة من جيشه لتهاجم المسلمين لكنها هزمت وقتل كل جنودها إلا رجل واحد عاد فأخبر لذريق بما رآه من المسلمين في قتالهم، فسار لذريق جنوبا واستولى على قرطبة وعسكر في سهل البرباط وكان تعداد جيشه مائة ألف مقاتل تقريبا، وسار طارق بن زياد بجيشه متوجها إلى قرطبة وتوقف عند نهر البرباط وتحسس أخبار لذريق فعرف مكانه وعدد جيشه، فأرسل إلى موسى بن نصير طالبا المدد فأرسل له موسى مددا تعداده خمسة آلاف مقاتل جلهم من العرب فسار تحت قيادة طارق بن زياد نحو اثني عشر ألفا من المسلمين.

أما لذريق فلم يكن من بيت الملك في بلاد الأندلس، لكنه لما هلك غيطشة ملك الأندلس ترك أولادا لم يرضهم أهل الأندلس واضطرب الأمر هناك، فتراضوا على لذريق هذا وكان من قوادهم وفرسانهم فولوه ملكهم، لكنه خالف تقاليد الملك وفعل أشياء شنيعة، لذا لما تلاقى الجيشان كان أبناء ملك الأندلس قد اتفقوا على أن ينهزموا بجنودهم وقد ظنوا أن المسلمين إنما جاؤوا طلبا للغنائم فقط، ونشبت المعركة وأبلى المسلمون بلاء حسنا على الرغم من أن غالب المسلمين كانوا رجالة بلا خيول بينما جنود القوط من الفرسان، واستمرت المعركة ثمانية أيام، وانضم عدد من جيش لذريق إلى المسلمين بغضا له وتشفيا فيه، وحدث اضطراب في جيشه ففر لذريق وفر بقية جيشه وسيوف المسلمين تحصدهم، ولم يعثر على أي أثر للذريق بعد هذه المعركة حيا أو ميتا، وقد استشهد في هذه المعركة ثلاثة آلاف مسلم، وكانت هذه المعركة العظيمة التي انتصر فيها المسلمون انتصارا عظيما في شهر رمضان في العام الثاني والتسعين للهجرة النبوية المباركة.

رمضانيات

طرق التخلص من الأخلاق السيئة

إن الأخلاق السيئة إذا سرت في الأمة، وسُكت عنها تكون سببا لهلاكها أو إصابتها بشر مستطير يصيب المذنب والبريء قال تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) «الأنفال: 25».

ونظرا لخطورة الأخلاق السيئة على الأمة فلا بد من اجتثاثها من جذورها، والتخلص منها، فما السبيل إلى ذلك؟

تنوعت الطرق التي ذكرها الباحثون الذين كتبوا في الأخلاق وفي هذا التنوع غنى وتلاق في الأفكار دون أي تناقض، وذلك لأن الهدف واحد وهو التخلص من الرذائل.

ومن تلك الطرق ما أورده د.خالد بن حامد الحازمي في كتابه «مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة» (158) وهي:

1 ـ نشر العلم الشرعي: «فبالعلم الشرعي يعرف الإنسان ما أمر الله به فيتبعه، وما نهى عنه فيجتنبه، وأفضل العلوم وأشرفها علم الشريعة».

وأنا بدوري أوافق الكاتب على رأيه هذا فقد كفى هذا العلم المسلم مؤونة البحث والاستنباط إذ فصل في الحديث عن الأخلاق بنوعيها وما على المسلم إلا أن يعرض نفسه على هذين النوعين من الأخلاق ليعرف موضعه منهما، ثم يعمل جاهدا على التخلص مما ساء منها والتمسك بما صلح منها.

2 ـ الرفقة الصالحة: «من أبرز المؤثرات السلوكية الرفقة الصالحة التي تدل الإنسان على الخير وترغب في التخلق به، وتحذره من الشر، وتكره له سلوك طريقه».

3 ـ تطبيق العقوبات الشرعية: «وليس ثمة تشريع في المجتمعات قاطبة يحد من الانحرافات السلوكية إلا التشريع الإسلامي لتوافق العقوبة فيه مع ضرر الجريمة، ولعدم وجود مجال للتهاون في التطبيق، مما يغرس في الأفراد البعد عن الانحرافات السلوكية».

4 ـ استغلال وسائل الإعلام: الحديثة والقديمة، فالإعلام «ممثلا في وسائله المقروءة والمسموعة مؤثرا تربويا فاعلا خاصة في الآونة الأخيرة من هذا الزمن».

وبناء على تقييم الكاتب المذكور للإعلام نجده يقترح العلاج لهذه الظاهرة بقوله:

«والإسلام هو المنهج المنجي للبشرية من أوكار الرذيلة والتفكك، وعليه فإنه يجب إزاء ذلك بناء إعلام إسلامي يرتكز على:

- الدعوة إلى الإسلام.
- الصدق في التوجيه والنصح.
- البعد عن إشاعة الفواحش».

5 ـ حسن استغلال المساجد: «من نعم الله على الأمة أن شرع لهم صلاة الجماعة التي هي مركز دعوة، ومنبر توجيه تعمر القلوب بالخير، وتزيل عنها أخلاق الجاهلية، وغبش المعاصي وويلاتها» (165).

وأنا أوافق الكاتب على رأيه في دور المسجد في كل مكان من ديار الإسلام إذ كان كذلك في ماضي الأمة ولا يزال في حاضرها.

6 ـ جهاد النفس: إن في النفس دواع للشر والانحراف، ويزين ذلك للإنسان شياطين الإنس والجن، فقد تميل النفس إلى ذلك ما لم تكن هناك مجاهدة فإن مجاهدة النفس من أعلى مراتب الجهاد.

7 ـ بعد النظر: نظرة الإنسان الطويلة إلى ما بعد الدنيا حافز فاعل وقوي لهجر المساوئ الخلقية والتمسك بالفضائل الإسلامية وأما قصر النظر واستعجال ملذات الدنيا وإشباع انحراف الهوى فهو دليل ضعف بصيرة.

إن ما ذكر من الطرق غير كاف برأيي للإجهاز على الأخلاق الوضيعة فهناك طريقتان أخريان لهما أثر جلي في هذا المجال يستطيع أن يقوم بهما كل من أخلص النية في الإصلاح وهما:

- الأولى: التواصي بالحق كما في سورة العصر، والنصح المباشر العلني بأدب، أو على انفراد بطريقة حكيمة كما يرى الإمام الشافعي، رحمه الله.

وكم من نصيحة نفعت من كان سادرا في غيه! إذ إن النصح والتذكير والتنبيه البناء كثيرا ما ينجح ويؤثر، ويفوق بدرجات تأثير بعض الطرق الأخرى.

- الثانية: القدوة العملية: إن الدعوة إلى الخلق الكريم المقرونة بالتنفيذ أوقع في النفس من الدعوة القولية.

هل تفكرتم عباد الله الأخيار بما خوّف به العزيز الغفار عباده في كتابه الكريم من ذكر النار، والتعريف بحال أهلها في دار البوار وما أعد لهم من العذاب والنكال، والسلاسل والأغلال؟

كل ذلك حتى يتقوه بصالح الأعمال، ويسارعوا إلى مغفرة الكبير المتعال، وذلك بامتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه.

فإن رمتم معرفة الخبر عن وقود النار المستعر فوقودها البشر والحجر، فهل من مصطبر؟ (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون).

فهل جعلتم بينكم وبين نار الله تعالى وقاية؟ وهل أحطتم بأحوالها علما وفهما ودراية؟

فإن سألتم عن قعرها فبعيد، وعن حرها فشديد، أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة (أي: صوت شيء سقط بشدة)، فقال النبي ﷺ: تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال النبي ﷺ: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها».

فهذا لعمر الله بعدها وقعرها، وأما حميمها وحرها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم: جزء من سبعين جزءا من حر جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله فقال النبي ﷺ: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها» أخرجه البخاري ومسلم.

وإن سألتم معشر الإخوة الكرام: كم لجهنم من وثاق تشد به وزمام؟ فاسمعوا ما تصم لسماعه آذان الأنام: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) أخرجه مسلم.

وإن سألتم معشر الإخوة الأحباب، عما يتدثر به أهل النار من الثياب: فإنه القطران وهو النحاس المذاب، قال الله تعالى في محكم الكتاب: (وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد (49) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار).

وهل تدرون ما أهون أهل النار نكالا؟ إنه من ينتعل من جمر جهنم نعالا، ولا يرى أن أحدا أفظع منه حالا، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابا: من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا» أخرجه البخاري ومسلم.

وإن سألتم عن أشد أنواع العذاب: فهو لعمر الله تعالى الحجاب، الذي يضرب بينهم وبين رؤية وجه رب الأرباب، (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (14) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (15) ثم إنهم لصالو الجحيم (16) ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون).

فجمع عليهم الرب تبارك وتعالى بين نوعي العذاب: العذاب الجسماني بالنار والعذاب الروحاني بالحجاب. فيا حسرة النفوس، يوم تحرم من رؤية وجه الملك القدوس، قال أبوعمران الجوني رحمه الله تعالى: إن الله تعالى لم ينظر إلى إنسان قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن قضى ألا ينظر إليهم.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

من روائع الخط العربي

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

بخط عمر فاروق ـ تركيا

كتبها بالثلث جلي بحبر أسود على ورق مطلي وقد فازت هذه اللوحة بجائزة أرسيكا الدولية لفن الخط العربي باسم هاشم البغدادي. أهم ما ميز هذا التركيب تناظر حرف الجيم والحاء على يمين ويسار التركيب وإيقاع اللام ألف الجميل في الأعلى، كما أن إنجاز التراكيب الدائرية يتطلب محاولات وتجارب عديدة حتى تنضج فكرة التكوين على الصورة النهائية.